باب الكعبة المعظمة على مر العصور

بقلم: إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ

باب الكعبة على مر العصور:

اختلف المؤرخون فيما بينهم بصدد أول من جعل الأبواب للكعبة المشرفة، وتعددت أوجه اهتمامهم بهذه الأبواب على النحو الذي نوضحه هنا من خلال تتبعنا لهذه القضية عبر العصور.

ذكر الأزرقي أن تبع الثالث كسا البيت، وجعل له باباً يغلق بضبة فارسية(١) ونقل عن ابن جريج قوله إنه لم يكن للكعبة باب يغلق قبل استحداث تُبَّعْ لباب الكعبة نقل شعرا لتُبَّعْ في ذلك:

وكسونا حرم الله ملاء معصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليدا

وأورد الأزرقي الخبر السابق مرة أخرى في معرض حديثه عن بناء ابراهيم عليه السلام للكعبة فقال: «.... وجعل لها بابها بالأرض غير مبوب حتى كان تُبَّعْ أسعد الحميري هو الذي جعل لها بابا وغلقا فارسيا»(٢).

ونقل الفاكهي عن الواقدي مايخالف قول الأزرقي فقال: «كان البيت قد دخله السيل من أعلا مكة فانهدم فأعادته جرهم على بناء ابراهيم، وجعلوا له مصراعين وقفلا فاستخفت جرهم بأمر البيت وعملوا أمورا وأحدثوا أحداثا لم تكن(٣)». ومن ذلك النص يتضح أن جرهم جعلت للكعبة باباً ذا مصراعين زمن ولايتهم على البيت، وهو مايسبق زمنيا ولاية خزاعة، والتي تسبق ولايتها هي الأخرى ولاية قريش، في حين أن الباب الذي صنعه تُبّعْ، والذي أشار اليه الأزرقي كان في زمن ولاية قريش.

وحين عمرت قريش البيت جعلت له باباً بمصراعين، قال ابن فهد القرشي إن طوله من الأرض إلى أعلاه بلغ أحد عشر ذراعا وعلى طوله صنع ابن الزبير باب الكعبة حين عمر البيت، يماثله باب مقابل في دبر الكعبة. وحين نقض الحجاج بناء ابن الزبير جعل طول الباب ستة أذرع وشبراً، لأنه رفع الباب عن مستوى الأرض.

ونقل الفاسي عن الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ)، والسهيلي (ت ٥٨١)، أن أول من بوب الكعبة أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام(٤).

وذكر اليعقوبي مانصه: «وبعث الوليد الى خالد بن عبدالله القسري، وهو على مكة بثلاثين ألف دينار. فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة وعلى الأساطين التي داخلها، وعلى الأركان والميزاب، فكان أول من ذهَّب البيت في الإسلام. وحج الوليد سنة ٩١ لينظر إلى البيت وإلى المسجد وما أصلح منه وإلى البيت وتذهيبه(٥)» أ.هـ.

وفي صدد حوادث ١٩٤ هـ ذكر ابن فهد مانصه: «وفيها أرسل الخليفة الأمين محمدبن هارون الرشيد العباسي(٦) الى سالم بن الجراح عاملا(٧) له على صوافي(٨) مكة، بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على باب الكعبة.

فقلع ما كان على البيت من الصفائح وزاد عليها من الثمانية عشر ألف

دينار. فضرب عليه الصفائح والمسامير وحلقتي باب الكعبة وعلى الفيارز والعتب(٩)»أ.هـ.

ووصف الأزرقي باب الكعبة الذي أدركه بدقة بالغة، ومما ذكره أن طوله في السماء ستة أذرع وعشرة أصابع، وأن عرض ما بين جداريه ثلاثة أذرع وثماني عشرة إصبعا، وعد مساميره وحلقاته وسائر مكوناته وحلياته(١٠).

وفي حوادث ٢١٩ هـ ذكر ابن فهد مانصه: «ومنها بعث المعتصم بالله العباسي(١١)للكعبة بقفل فيه ألف دينار وكان على مكة يومئذ صالح بن العباس(١٢)، فأرسل صالح إلى الحجبة(١٣)فدعاهم ليقبضهم القفل فأبوا أن يأخذوه فأجبرهم على ذلك. وأراد أن يأخذ قفلها الأول ويرسل به الى الخليفة. فكلموه فتركه له وأذن لهم في الخروج إليه، فخرجوا إليه فكلموه فيها فترك قفلها وأعطاهم القفل الذي بعث به إليها فقسموه بينهم» أ.هـ.

وأكد الفاكهي في تاريخه هذه الواقعة، وأضاف المسبحي في حوادث نفس السنة: «وفيها وصل طاهر بن عبد الله بن طاهر حاجا في عدد كثير من الجند بقفل فيه ألف مثقال من الذهب. فقفل به البيت ونزع قفله الذي كان عليه، وكان مطليا ويقال أن الحجاج عمله(١٤)»أ.هـ.

وذكر ابن جبير أن الوزير جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور المعروف بالجوّاد وزير صاحب الموصل جدد باب الكعبة وغشاه بالفضة المذهبة، ونقش عليه اسم الخليفة، وأخذ الباب القديم وأمر أن يصنع له منه تابوت يدفن فيه(١٥).

وفي حوادث ٥٥٢ هـ ذكر ابن الأثير في تاريخه: «في هذه السنة قلع الخليفة المقتضى لأمر الله (١٦)باب الكعبة، وعمل عوضه باباً مصفحا بالنقرة المذهبة(١٧). وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتاً يدفن فيه إذا مات(١٨).

وذهب الفاسي إلى أن الأمر قد التبس على ابن الأثير، فليس فيما أورده من

نسبة الباب للمقتفي مايتعارض مع ماذكره ابن جبير من نسبته للجوّاد، لأن الأخير صنعه بأمر المقتفي، وأضاف اسمه كتابة عليه، وان توضيح ذلك يمنع من اعتقاد البعض بصنع بابين للكعبة في تاريخ واحد، على يد الخليفة وآخر على يد وزيره(١٩).

وأضاف ابن جبير أنه تم صنع تابوت للجواد من الباب القديم. وحينما حانت ساعة وفاته أوصى بأن يوضع في ذلك التابوت المبارك، وأن يحج به ميتا، وكان لم يحج من قبل. فسيق إلى عرفات وأفيض به بعد أن أفاض الناس، وطيف به طواف الإفاضة، ثم حمل الى المدينة المنورة حيث دفن بها.

ويرجح الفاسي ماراوه ابن جبير من عمل التابوت ودفن الجوّاد به أن ذلك لم يكن ليتم إلا بموافقة المقتفي.. ويرى أن نسبة ابن الأثير الباب للخليفة المقتفي كان توهما منه.

وفي سنة ٦٦٦ عمل الملك المظفر(٢٠)صاحب اليمن باباً للكعبة المعظمة عليه من صفائح الفضة مازنته ستون رطلا، صارت لبني شيبة(٢١).

وفي سنة ٧٣٣هـ عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر باباً ركب على الكعبة بعد قلع باب الملك المظفر في ذي القعدة من نفس العام، محلى بخمس وثلاثين ألف درهم وثلاثمائة درهم من الفضة، وقد صنع الباب من السنط الأحمر. وفي سلطنة ولده الناصر حسن سنة ٧٦١هـ صنع باب آخر في مكة المكرمة من خشب الساج تم تركيبه وظل بالكعبة الى أن قلع سنة ٧٧٦هـ من أجل زيادة حليته بمقدار ثلاثين ألف درهم. وعوض عنه بباب قديم كان للكعبة.

ويعتقد الفاسي أن هذا الباب القديم الذي تم تركيبه هو نفس الباب الذي صنعه الناصر محمد بن قلاوون، ثم أعيد الباب بعد تحليته. كما يظن أنه حلّي أيضا عام ٧٨١هـ(٢٢). ويحمل الباب اسم الناصر محمد بن قلاوون في أسفل الباب. وكذلك اسم حفيده الملك الأشرف شعبان بن حسين. وفي

الجانب الذي على يمين الداخل للكعبة كتب اسم الملك المؤيد أبي النصر شيخ صاحب مصر، الذي أنفذ بعض خواصه الى مكة المكرمة في أول ذي الحجة من سنة ٨١٦هـ. فقاموا بتحلية هذا الجزء الذي يحتاج الى تحلية من الباب، وحلوه بالفضة وطلوه بالذهب، مع كتابة اسم الملك المؤيد. وبلغ مقدار الفضة المستخدمة في هذا الموضع مائة ونيفاً وتسعين درهماً(٢٣). وفرغ من هذا العمل في أوائل ذي الحجة من سنة ٨١٦هـ(٢٤).

وذكر القطبي في تاريخه: «في مستهل سنة ٨١٦ قدم إلى الحج أحد خواص مماليك السلطان الملك المؤيد شيخ(٢٥) فرأى جانب باب الكعبة الأيمن محتاجاً الى الحلية. فأخرج من ماله مايقارب مائتي درهم فضة خالصة فجلاه به ثم طلاه بالذهب وفرغ من عمل ذلك قبل الصعود الى عرفة»(٢٦)أ.هـ.

وأورد أيضاً: «.. وقد أدركنا الباب الشريف مصفحاً بالفضة، وكان يختلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده إلى أن انكشف سفل الباب، ومسك مراراً من يفعل ذلك وحبسوا وبهدلوا. فعرض ذلك على الأبواب الشريفة السلطانية في أيام المرحوم المقدس السلطان سليمان خان(٢٧)، أسكنه الله تعالى فراديس الجنان، في سنة ٩٦١هـ فبرز الأمر الشريف السلطانية بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر أحمد جلبي، فأخرجوا جميع فضة الباب وزادوا عليه فضة وجعلت صفائح وصفح بها باب الكعبة، وسمرت الصفائح بمسامير الفضة وأعيدت وصفح بالفضة المكسوة بالذهب»(٢٨)أ.هـ.

وفي عام ٩٦٤هـ أمر السلطان سليمان بتركيب باب جديد للكعبة. فأتى بالباب الأول وركبت عليه ألواح من خشب الآس الأسود المصفحة بالفضة المطلية بالذهب بما مقداره ٢٧١٠ أشرفيات(٢٩). أما الفضة فبلغت أربعة قناطير إلا قليلا. ووضعت الفضة على أصل الباب القديم الذي صنع من الساج. مع تعويض بني شيبة بمبلغ من المال قدره ألف أشرفي عوضا عن الفضة القديمة. ونقش على الباب بعد البسملة قوله تعالى: «ربِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ،

وأخرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ. واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ نَصيرا(٣٠)». ودون تاريخ تجديد الباب، وقد أرخ البعض لذلك بقوله: «زين الباب»(٣١).

وظل الباب السابق في الكعبة المشرفة حتى عام ١٠٤٥هـ. ذكر الطبري في الأرج المسكي: «ان السلطان مراد خان ابن السلطان(٣٢)أحمد خان في سنة ١٠٤٤ بعدَ عمارة الكعبة المشرفة بأربع سنين أمر (على) والي(٣٣)مصر أن يصلح ماوقع في سطح الكعبة المشرفة من الخلل وأن يجعل لها باباً جديدا، وأن يرسل إليه الباب القديم، فعين والي مصر لذلك الأمير رضوان بك المعماري، وأضاف إليه يوسف المعمار مهندس العمارة سابقا، فوصلا إلى مكة في موسم تلك السنة. ثم لما كان ١٧ ربيع الأول سنة ١٠٤٥هـ وصل الى الكعبة المشرفة، وفتح آل الشيبي بابها فقلعوه وركبوا غيره عوضا عنه باباً من خشب لم يكن عليه شيء من الحلية وإنما عليه ثوب قطني أبيض. وفي يوم الثلاثاء من الشهر المذكور صار اجتماع ببيت الأمير رضوان حضر فيه شيخ الحرم عتاقي أفندي وفاتح البيت وحاكم مكة فوزنت الفضة التي كانت على الباب المقلوع فكان مجموع ذلك مائة وأربعين رطلاً. ثم شرع في تهيئة باب جديد وركب عليه حلية الباب السابق، وكتب عليه السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان وركب الباب الجديد بمحفل حضره أمير مكة وشيخ الحرم وسدنة البيت المعظم وكبار العلماء والأعيان. وكان ذلك يوم الخميس ٢٠ من شهر رمضان سنة ١٠٤٥ وأرسل الباب القديم الى السلطان مراد»أ.هـ.

وهذا الباب تم صنعه في استانبول، بعد أن تقرر تجديد باب الكعبة في ربيع الأول من نفس العام واستمر ذلك الى شهر رمضان. وصنع الصاغة له مازنته مائة وستون رطلا من الفضة المطلية بالذهب البندقي(٣٤) بما مقداره ألف دينار. ونقشت عليه كتابات الباب السابق وزيد عليه قوله عز وجل: «رب أدخلني مدخل صدق» (الآية) تحتها كتابة نصها: «تشرف بتجديد هذا الباب من سبقت له العناية من رب الهداية مولانا السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان بن عثمان عز نصره في سنة خمس وأربعين وألف»(٣٥).

وذكر السنجاري في منائح الكرم: «أنه في آخر شهر ذي القعدة سنة ١١١٩هـ حضر شيخ الحرم الأمير إيواز بك والسيد يحيى بن بركات وقاضي الشرع، وحضروا بعض المعلمين، وقلعوا خدود باب الكعبة، والطراز الذي من الذهب الخالص فوجدوا فيه شيئا كثيرا فأصلحوه وطلوا الخدود بالذهب وكتبوا على الطراز تاريخا ذكروا فيه أنه تجديد السلطان أحمد خان نصره(٣٦)الرحمن. وحضر عند تركيبه مولانا الشريف عبد الكريم وجميع من تقدم ذكره وركبوه على الوجه المطلوب وصار الباب يفتح بسهولة من غير تعب»أ.هـ.

الباب السابق على الباب الجديد:

ركب هذا الباب عام ١٣٦٣هـ في عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، واستمر في موضعه في الكعبة المعظمة طوال ثلاثة وثلاثين عاما.

وهذا الباب صنع بمكة المكرمة ويتكون من مصراعين من ألواح الألمونيوم، سمكه ٢٫٥ سم ومقاسه ٣١٠×١٦٨ سم ويتألف من مصراع من ثلاثة أجزاء طولية، مع استخدام القضبان الحديدية من خلف كل درفة لدعم تماسكها، مع ربط القطع بعضها مع بعض وهي ظاهرة من الخلف.

ويرتبط كل من مصراعي الباب بثلاث مفصلات صنعت من الحديد الصلب مثبتة على إطار من الحديد. في حين صنعت واجهة الباب الخارجية من ألواح من الفضة الخالصة المطلية بالذهب، ثبتت على قاعدة خشبية بلغ سمكها ٢٫٥ سم.

أما جوانب ذلك الباب فكانت قد صنعت أول الأمر من الخشب الجاوي الذي يبلغ سمكه ٦ سم. وزخرفت هذه الجوانب بلوحات منقوشة عليها أسماء الله الحسنى داخل أشكال بيضاوية عددها ثلاثة عشر شكلا من الفضة المطلية بالذهب.

واستبدلت القواعد الخشبية لجوانب الباب في عام ١٣٩٥ هـ بصفائح الألمنيوم المسكوب، بعد فك اللوحات المنقوش عليها أسماء الله الحسنى والزخارف وإعادتها لوضعها السابق.

ولقد استغرق صنع هذا الباب ثلاث سنوات، ونقشت زخارفه وخطوطه بمكة المكرمة، وأشرف على صنعه يوسف بدر شيخ الصاغة وقتئذ، بينما صمم خطوطه الشيخ عبد الرحيم أمين الذي قام كذلك بعمل خطوط الباب الجديد الذي سنعرض له بعد.

البـــاب الجـــديد:

برزت فكرة استحداث باب جديد للكعبة المشرفة، في شهر جمادى الأولى عام ١٣٩٧ هـ، حين صلى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية في جوف الكعبة المعظمة، وتراءى له قدم الباب المركب، والمصنوع عام ١٣٦٣ هـ في عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود. فأمر الملك بصنع بابين جديدين أحدهما للكعبة المشرفة والآخر لباب التوبة على أن يكونا من الذهب الخالص.

وبعد عصر يوم السبت ٢٢ ذي القعدة عام ١٣٩٩ هـ الموافق (١٣ أكتوبر عام ١٩٧٩ م) قام جلالة الملك خالد بإزاحة الستار عن الباب الجديد.

حقائق ومعلومات عن الباب الجديد: (٣٧)

- يزيد ارتفاعه قليلا عن ثلاثة أمتار، وعرضه نحو مترين، وعمقه نحو نصف متر.
- يتكون الباب من مصراعين متماثلين في الحجم والشكل العام.
- يشتمل الهيكل الإنشائي للباب على قاعدة خشبية بسمك ١٠ سم، تم صنعها من خشب «التيك» ويعرف باسم «ماكامونغ».
- الوزن النوعي ٤٠٫٨ سم.
- في نهاية أسفل الباب عتب Lintel لمنع تسرب مياه الأمطار إلى الكعبة

المشرفة، وله ضاغط خاص يضغط حرف الباب على العتب لحظة إغلاقه.

– بلغت كمية الذهب المستخدمة في صنع البابين ٢٨٠ كيلوغراما من عيار ٩,٩٩٩٪.

– بلغت تكلفة عمل الدراسات والتصميمات المعمارية، وصنع الكتابات والزخارف الاسلامية مبلغ ثلاثمائة ألف ريال.

– مقدار التكلفة الاجمالية لصنع البابين ١٣ مليون، ٤٢٠ ألف ريال سعودي. هذا بخلاف كمية الذهب التي تم تأمينها بمعرفة مؤسسة النقد السعودي.

– تم صنع البابين في مَشغَل أعد خصيصا لذلك في مكة المكرمة وأُنجز هذا العمل بعد اثنى عشر شهراً، بدأت من غرة ذي الحجة من عام ١٣٩٨ هـ، تحت اشراف الشيخ أحمد بدر شيخ الصاغة بمكة المكرمة بمعونة المتخصصين.

خصائص الباب الجديد:

– تطابق الشكل الزخرفي العام للباب مع المألوف من الزخرفة الإسلامية.
– المحافظة على الشكل المعهود للباب في ترتيب وضعه.
– استخدم في أسلوب الزخرفة الحفر والنقش على الذهب.
– استخدم قليل من الفضة في صنع الباب.

– تواءمت الزخارف المطبقة مع الأساليب الفنية المعمارية والزخرفية المألوفة في التراث الاسلامي.

– تم تفصيل الهيكل الإنشائي للباب بما يطابق التصميم الزخرفي ويلائم عوامل الطقس من شدة حرارة وأمطار.

– ثبتت صفائح الذهب على القاعدة الخشبية، باستخدام مادة لاصقة

خاصة، تضمن استمرار التصاق الذهب بالخشب، ولفترات غير محدودة وذلك بالنسبة لإطار الباب الخشبي.

- لتثبيت الباب الجديد صنع إطار من الصلب ثبتت عليه المفصلات بحيث يتحمل كل من مصراعي الباب خمسمائة كيلوجرام، كما تم تركيب المفصلات على عجلات دائرية بما يسهل حركتها.
- استخدمت أفضل وسائل التقنية الحديثة، في صنع الباب مما يكفل معه أكبر قدر من المتانة والجودة.

الزخــارف الكتــابية :-

اشتمل الباب على نوعين من الكتابات، كتابات قرآنية ونصوص كتابية، سأقوم بتفصيلاتها وفق ورودها على الباب:

النصوص الكتابية القرآنية :

زُخرف إطار الباب بزخارف، محفورة على الذهب بينما زخرفت المساحات الوسطى بدوائر مشعة مجدولة الإطار بوسطها بعض الآيات القرآنية، وبالزاويتين العلويتين للبــاب زخارف متميزة تهــدف الى توضيح رسم على هيئــة قوس يحيط بلفظ الجلالة نصه «الله جل جلاله» واسم الرسول ﷺ نصه «محمدرسول‌الله».

والجزء العلوي من الباب، ويمثل ربع مساحته تقريبا، بأعلاه من الجانبين دائرتان باللون الأبيض، كتب في اليمنى منهما بالذهب بخط الثلث لفظ الجلالة وكتبت في الدائرة اليسرى المقابلة على مصراع الباب الآخر كلمة «محمــد» وسط الدائرة.

وقُسّم نصف الدائرة الكبرى الى ثمانية شبه مستطيلات، كل أربعة منها بأحد مصراعي الباب.. وتقرأ الكتابات على المصراع الأيمن متجها على المصراع الأيسر ومن أعلى إلى أسفل على الوجه الآتي:-

المستطيل الأول : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم».
المستطيل الثاني : أُدخلوها بسلام آمنين(٣٨)، جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام»(٣٩).
المستطيل الثالث : «رب أُدخلني مدخل صدق وأُخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا»(٤٠).
المستطيل الرابع : «كتب ربكم على نفسه الرحمة(٤١)، وقال ربكم ادعوني أستجب لكم»(٤٢).

ويلي المستطيلات السابقة مربعان يتوسطهما حشوتان على شكل دائرتين مشعتين، تحتوي كل منهما على اثنتي عشرة حزمة شعاعية على عدد شهور السنة، كما تشتمل كل حزمة بدورها على سبعة إشعاعات ذات أطوال مختلفة بعدد أيام الأسبوع. وقوام زخرفة المربعين المحيطين بالدائرتين زخارف عربية لتفريعات نباتية (أرابسك).

وبحشوة المصراع الأيمن نص كتابي «لا إله إلا الله»، بينما على حشوة المصراع الأيسر عبارة «محمد رسول الله» بخط بارز، وثبتت حلقتا الباب على أرضية الحشوتين العلويتين بحيث تؤلفان مع القفل وحدة واحدة من حيث التجانس في الحجم والشكل، وهما مصنوعتان من الذهب أيضا، وفي أسفلهما في كلا المصراعين مستطيل بارز ومزخرف تحمل نهايته الخارجية قوله عز وجل: «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم»(٤٣). ويلاحظ تواجد مساحة مناسبة الارتفاع بين الحلقتين والقفل بهدف الفصل بين مختلف أنواع الزخارف المتعددة الوحدات لكنها تتسم بالتجانس بين وحداتها الزخرفية بشكل مناسب ومريح. أما الربع

الثالث من الباب فقوام زخرفته رسم مربعين تتوسط كل منهما حشوة على هيئة دائرة تحيطها زخارف الأرابسك في حين يتوسط الحشوتين نص قرآني يشتمل على فاتحة الكتاب.

الكتــابات التــاريخية :-

يشتمل الربع الأخير من باب الكعبة الجديد على عدة مستطيلات صغيرة الحجم مزدانة بالزخارف وتحمل نصوصاً كتابية بخط دقيق هي:

المستطيل الأول : «صنع الباب السابق في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٦٣ هـ».

المستطيل الثاني : «صنع هذا الباب في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالدبن عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٩٩ هـ».

وزخرف برواز الباب المثبت على المصراع الأيسر بزخارف خاصة متميزة دقيقة الصنع في سجل على المصراع الأيمن نص كتابي تحيطه الزخارف نصه:

«صنعه أحمد ابراهيم بدر بمكة المكرمة، صممه منير الجندي، واضع الخط عبدالرحيم أمين».

الزخارف الكتابية على الجوانب :

صنعت هذه الزخارف وتوزعت بأسلوب فني زخرفي مميز، بما يتمشى وأسلوب التصميم والزخرفة العام للباب، وبما يتفق ووضع اللوحات الدائرية البارزة، والتي تشتمل على بعض من أسماء الله الحسنى وعددها خمسة عشرة مرتبة كما يلي:

- أعلى الباب   يا واسع   - يامانع   - يانافع

- الجانب الأيمن يا عالم - يا عليم - يا حليم
يا عظيم يا حكيم يا رحيم
يا غني - يا مغني - يا حميد
- الجانب الأيسر يا مجيد يا سبحان يا مستعان

وثبتت على القاعدة الخشبية للباب لوحات من الذهب الخالص، تحمل نقوشا زخرفية رسمت بأسلوبي النقش الغائر والبارز، وتتألف القاعدة الخشبية من مستويات ثلاثة من حيث درجة بروزها، زخرفت إطاراتها. في حين اشتمل الإطار الأوسط على آيات قرآنية.

قفـل البـاب :

تم الاستغناء عن قفل الباب القديم والذي يعود الى عهد السلطان عبد الحميد خان، وتم صنع قفل جديد بنفس مواصفات القفل القديم ليتفق والأسلوب العام لتصميم الباب الجديد، مع زيادة في كفاءة تشغيله دون حاجة ما الى الصيانة.

مراحل صنع وتركيب الباب الجـديد:-

صنعت أولا قاعدة الباب الخشبية وهي من خشب «ماكامويغ»، وتم تلبيسها بصفائح من الذهب الخالص، بعد أن نقشت عليه النقوش الكتابية والزخرفية. واشترك في هذه الأعمال نحو أربعين فنياً مابين نقاش وحفار ونجار وطارق للذهب. انتظموا جميعهم في دوام يومي من الصباح الى ما بعد الظهر، وفي المراحل النهائية لصنع الباب استلزم الأمر أن يظلوا يعملون إلى آخر الليل.

ولتركيب الباب الجديد أُخْرِجت أولاً حلق الباب القديم يوم ١٨ من ذي القعدة سنة ١٣٩٩ هـ، ثم أخرج مصراعا الباب، ثم بدأ تركيب حلق الباب الجديد ومصراعيه واستغرق ذلك ٤٨ ساعة، ثم رُكِبتْ حلق باب التوبة ودرفته في موضعه القديم وحمل بابا التوبة مع باب الكعبة القديم الى داخل الكعبة المشرفة.

باب التـوبة :

هو الباب الداخلي للكعبة المشرفة، موضعه خلف باب الكعبة، وروعي في تصميم الباب الجديد مطابقته للباب الرئيسي، فيما يختص أسلوب الزخرفة بما يكفل تحقيق التجانس بين البابين، أما مقاسات الباب الجديد فهي:

- ارتفاع الباب ١٣٠ سم.
- عرض الباب ٧٠ سم.
- صنع من خشب الماكامونغ مثل الباب الرئيسي.
- سمك القاعدة الخشبية للباب ٧ سم.
- مغطى بصفائح الذهب المزخرفة.
- يحيط بالباب إطار مزخرف مقسم الى أربعة أقسام من أعلى الى أسفل.

ويلاحظ أن الجزء العلوي من باب التوبة يتكون من ثلاثة مستطيلات يليها مربع تتوسطه دائرة مشعة نقش بوسطها «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ويلي هذا المربع مربع ثان تتوسطه دائرة نقش بوسطها فاتحة الكتاب في حين ينقسم القسم الأخير الى ثلاثة مستطيلات صغيرة يتوزع عليها النص التالي: «هذا الباب صنع في عهد خادم الحرمين الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود».

«تمت بحمـد الله»

الهــوامش

(١) الأزرقي : أخبار مكة ١/١٣٤.

(٢) المصدر السابق : ١/٦٤.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ١/١٠٤.

(٤) الفاسي : المصدر السابق ١/١٠٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٤.

(٦) محمد بن هارون الرشيد، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه ١٩٣ هـ، وولى أخاه المأمون خراسان ثم خلعه عنها سنة ١٩٥ هـ، فنادى الأخير بخلعه، وجهز طاهر بن الحسين لحربه فهزم جيش الأمين وحاصر بغداد وقتل الأمين. انظر في ترجمته: (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٩٧ وما بعدها) وغيره.

(٧) في النص «عامل».

(٨) الصوافي أو القطائع عرفت زمن رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، ولكن على نطاق ضيق وذات دخل محدود. وباتساع حركة الفتح الاسلامي منذ عهد الخليفة عمر، ازدادت إيرادات الدولة الاسلامية لكثرة الأراضي التي اصطفاها الخليفة في العراق والشام ومصر، وأصبحت خالصة لبيت مال المسلمين. ثم أطلق عليها القطائع، اذ اقتطعت فيما بعد لمن يتعداها. وبلغ دخل الصوافي في ذلك الحين ٧,٠٠٠,٠٠٠ درهم. وكان يحتجز العشر من صاحب الإقطاع من المؤونة في استصلاح الأراضي وإقامة البيوت من حولها وتوصيل المياه لها وتعهدها بالرعاية والاصلاح. أما أرض مكة والمدينة وسائر بلاد العرب التي فتحت على يد رسول الله ﷺ. فلها وضعها الخاص، فلا يزاد عليها ولا ينقص منها. اذ لا يجوز أن يعدل حكم رسول الله ﷺ في شأنها، فيؤخذ منها العشر ولا يفرض عليها الخراج.

راجع: (أبو يوسف: كتاب الخراج ص ٦٢ : ٦٤، بدوي عبد اللطيف: النظام المالي الاسلامي المقارن ص٦٠، ٦١، ضياءالدين الريس: الخراج في الدولة الاسلامية ص١٣٩، ١٤٠) وغيرهم.

(٩) إتحاف الورى في أخبار أم القرى. نسخة تيمور الخطية، ورقة ٤٣٩.

(١٠) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : ١/٣٠٧ : ٣٠٩.

(١١) الخليفة المعتصم بالله، أبو إسحق محمد بن الرشيد. ولد سنة ١٧٨ أو ١٨٠هـ، اتصف بالشجاعة، وهو ثامن خلفاء بني العباس، بويع خليفة بعد المأمون سنة ٢١٨هـ، وفي سنة ٢٢٣هـ غزا الروم وفتح عمورية، توفي في ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ.

(١٢) صالح بن العباس بن محمد، ولي إمرة مكة سنة ٢١٨هـ. انظر الرحلة الحجازية للشوني ص٨٣ جدول أمراء مكة منذ فتحها المسلمين، نقلا عن السالنامة – طبع مكة سنة ١٣٠٦هـ.

(١٣) يقصد بني شيبة سدنة الكعبة.

(١٤) عن أقفال ومفاتيح الكعبة المعظمة انظر مقال: J.T. Sourdel: Revue d'études — islamiques (R.E. I), Les clés et les serrures de la Kaaba.

(١٥) رحلة ابن جبير : ص ١٠٣ وما بعدها.

(١٦) هو الخليفة أبو عبد الله الحسين المقتضي لأمر الله بن المستظهر، أحد خلفاء بني العباس، بويع

بالخلافة سنة ٥٣٠هـ، واستمر بها الى أن توفي سنة ٥٥٥هـ.

(١٧) النقرة دراهم ضربها الأيوبيون من الفضة النقية، يتألف ثلثاها من الفضة وثلثها من النحاس، وتطبع بدور الضرب السلطانية. ويكون منها دراهم صحاح وقراصات. والعبرة في وزنها بالدرهم. (انظر القلقشندي: صبح الأعشى ٤٣٩/٣).

وفي عيار الدراهم النقرة ذكر ابن مماتي في قوانين الدواوين (ص٣٣٣)، انه يؤخذ ٣٠٠ درهم فضة نقية الى ٧٠٠ درهم من نحاس أحمر، ويسبك حتى يصير ماء واحداً، ويقلب قطاناً ويقطع. (انظر أيضاً: ابن بعرة في «كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية»، ص ٢٥، ٦٥، ٧٦ وحواشي الدكتور عبدالرحمن فهمي محقق الكتاب).

(١٨) الكامل في التاريخ : ٢٢٨/١١ . وذكر ابراهيم رفعت في مرآة الحرمين، أن هذا الباب صنعه الجواد عام ٥٥٠هـ، وركب عام ٥٥١هـ (٢٧٦/١).

(١٩) الفاسي : المصدر السابق ١٠٣/١ .

(٢٠) الملك المظفر الرسولي يوسف بن عمر علي بن رسول التركماني اليمني، شمس الدين. ولد بمكة ٦١٩هـ (١٢٢٢م) تولى حكم اليمن سنة ٦٤٧هـ بعد مقتل أبيه، واجه الفتن بحزم، وحكم فترة طويلة حتى توفي ٦٩٤هـ (١٢٩٢م). والملك المظفر يوسف أول من كسا الكعبة من داخل ومن خارج سنة ٦٥٩هـ، بعد أن توقف وصولها من عاصمة الخلافة لسقوط بغداد في يد المغول، وظل مداوماً على كسوتها حتى عام ٧٦١هـ. كما قام بترخيم داخل البيت الشريف وأرخ لذلك على لوح رخامي بالجهة الغربية داخل الكعبة المعظمة نقش عليه بالخط البارز النص التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله ياأرحم ياأرحيم. أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظم العبد الفقير الى رحمة ربه وأنعمه يوسف بن عمر بن علي بن رسول اللهم أيده بعزيز نصرك واغفر له ذنوبه برحمتك ياكريم باغفار بتاريخ سنة ثمانين وستمائة».

وذكر المقريزي في الذهب المسبوك في من حج من الخلفاء والملوك ص ٨٤، أن المظفر شمس الدين حج سنة ٦٥٩هـ، وغسل الكعبة بنفسه وكساها من داخلها وخارجها كما قام بمصالح الحرم وأهله وأكثر من الصدقات ونثر على الكعبة الذهب والفضة. والملاحظ أن المقريزي أغفل خبر باب الكعبة الذي صنعه المظفر.

انظر ترجمته في: (الخزرجي: العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، الجزء الأول، (ط) والعسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك(خ)، تاريخ ابن الوردي ، الجزء الثاني، المقريزي: الذهب المسبوك، تاريخ الكعبة لباسلامة، بنو رسول وبنو طاهر لمحمد عبد العال) وغيرهم.

(٢١) ذكر ابن حاتم السمط الغالي – ورقة ١٧٦أ، والخزرجي: العقود اللؤلؤية ١٦٩/١، أن الملك المظفر قام بتحلية باب الكعبة بالذهب والفضة على يد نجم الدين حسن بن التعزي. في حين ذكر الفاسي ١٠٣/١، وابراهيم رفعت ٢٧٦/١، أن الباب استحدثه المظفر ولم يحل باب موجود. ويؤرخ ابراهيم رفعت باب المظفر سنة ٦٥٩هـ، وهي السنة التي حج فيها المظفر.

(٢٢) ذكر ابراهيم رفعت في مرآة الحرمين (٢٧٦/١) ما نصه: «انه في سنة ٧٨١هـ حلي زين الدين العثماني باب الكعبة وميزابها بمعرفة مملوكه سودون باشا حينما أرسله لعمارة المسجد الحرام» أ.هـ. ويعلق على ذلك باسلامة (تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٠٢) بقوله: «مع أن الفاسي ذكر فيما تقدم

أن ذلك كان في عصر الناصر حسن، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون مكتوب عليه، ولو كان زين الدين العثماني هو الذي حلى باب الكعبة لكتب اسمه عليه كما هي العادة المتبعة في ذلك» أ.هـ.

والرأي انه ليس ثمة تناقض بين النصين اللذين أوردهما كل من الفاسي وابراهيم باشا رفعت والذي اعتقد بوجوده الشيخ باسلامة، فيما يتعلق بالباب الذي عمل في مكة المكرمة في دولة الناصر حسن. فخصوص ماأورده ابراهيم رفعت عن تحلية زين الدين العثماني لباب وميزاب الكعبة على يد سودون باشا. أورده أيضا الفاسي بدون تفصيل وليس فيما أورده جملة ما يخالف كلام رفعت باشا. وإن كل ما أورده بعد وصفه للباب الذي عمله الناصر محمد بن قلاوون. ثم إعادة باب الناصر حسن بعد تحليته قوله: «.... وأظن أنه حلي في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة والله أعلم، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون مكتوب في هذا الباب بأسفله واسم الملك الأشرف شعبان بن حسين في بعض فيار من الباب...» أ.هـ. وليس من حديث الفاسي مايخالف كلام ابراهيم رفعت. انظر أيضا القطبي في الاعلام ص٥٤، ٥٥.

(٢٣) عند باسلامة (تاريخ عمارة الكعبة المعظمة ص ١٩٩ – ٢٠٠) إن قيمة الفضة المستخدمة ١٩٢ درهم. في حين أوردها ابراهيم رفعت (مرآة الحرمين ٢٧٦/١) ٢٠٠ درهم.

(٢٤) الفاسي المصدر السابق ١٠٣/١.

(٢٥) الملك المؤيد شيخ المحمودي أبو النصر الظاهري رابع ملوك الجراكسة، تسلطن سنة ٨١٥هـ، وكان من مماليك الظاهر برقوق أرسل في آخر سنة ٨١٨هـ منبرا الى المسجد الحرام، توفى سنة ٨٢٤هـ، انظر في ترجمته (القطبي: الاعلام ص ٢٠١ وما بعدها العصامي المكي في سمط النجوم العوالي ٣٦/٤ وغيرهم).

(٢٦) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٠٤.

(٢٧) السلطان سليمان خان ولد سنة ٩٠٠هـ (١٤٩٤م)، وتسلطن سنة ٩٢٦هـ، وهو عاشر ملوك آل عثمان، فتح بلغراد ورودس وبلاد المجر وتبريز وبغداد وعدن، ويعد هذا السلطان صاحب أهم عمارات سلاطين آل عثمان للمسجد الحرام منها، تجديده سطح الكعبة المشرفة، وإصلاح بعض الأبواب، وتجديد فرش المطاف، وتعمير المقام الحنفي وإنشاء مدارسه الأربع ورباطها خلفها، كما شيد منارة عظيمة تتوسط مدارسه بالاضافة الى تعمير منارة باب علي بعد سقوطها.

ولا نغفل ذلك المنبر النادر الذي أهداه السلطان سليمان خان الى المسجد الحرام، ونصب عام ٩٦٦هـ، وهو مصنوع من الرخام الأبيض على أسلوب وطراز إسلامي عرضه ١٫٨٨ سم وعرض درجاته ٨٠ سم، وله باب صغير في مدخله يؤدي الى سلم من ١٣ درجة توصل الى مقعد الخطيب، بارتفاع ٤٫٣٧ سم عن سطح الأرض. ويبلغ ارتفاع هذا المنبر بما في ذلك المظلة التي تعلوه ١٠٫٤٧ سم، وكان موضعه الجانب الشمالي من مقام ابراهيم وذلك قبل سنة ١٣٨٤م، ثم أعيد وضعه على المحيط الخارجي للمطاف بعد توسعته بجوار المظلة.

ومما يؤسف له أن تعرض هذا المنبر الأثري النادر للكسر بعد أن تعرض المسجد الحرام لاعتداء الطغمة الفاسقة في غرة المحرم سنة ١٤٠٠هـ، وشاهدناه في متحف الحرم الشريف في الدور السفلي للمسجد مقسم الى عدة أجزاء، ونهيب بالقائمين على شئون المسجد الحرام بالعمل على ترميم هذا المنبر الفريد وإعادته الى حدود المطاف الجديد بعد نقل بئر زمزم.

وتوفي السلطان سليمان خان سنة ٩٧٤هـ (١٥٦٦م) عن أربع وسبعين سنة. انظر في ترجمته: (القطبي: الاعلام ص ٢١٩ : ٣٥٥، العصامي المكي: سمط النجوم العوالي ٤/٧٣ وما بعدها، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٧٩ : ١٠٩ وغيرهم).

(٢٨) المصدر السابق : ص ٥٥ وما بعدها.

(٢٩) أشرفيات جمع أشرفي والأشرفي دنانير ضربها الأمير صلاح الدين بن عرام، نائب السلطنة في دولة الأشرف شعبان بن حسين بعد سنة ٧٧٠هـ في الاسكندرية زنة كل منها مثقال. نقش على وجهها عبارة «محمد رسول الله». وعلى الظهر: «ضرب الاسكندرية في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نصره». ثم أبطل ضربها فلم تكثر ولم تشتهر.
انظر : (القلقشندي : صبح الأعشى ٣/٤٣٦ – ٤٣٧).

(٣٠) سورة الأسراء : الآية (٨٠).

(٣١) ابراهيم رفعت : المرجع السابق ١/٢٧٦ وما بعدها.

(٣٢) هو السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمود الثالث ولد سنة ١٠١٨هـ (١٦٠٩م)، ولاة الانكشارية وتسلطن سنة ١٠٣٢هـ، ثأر من قتلة أخيه عثمان، وحارب العجم وفتح بغداد ١٠٤٨هـ وفي زمنه شهد المسجد الحرام أكبر عماراته. توفى سنة ١٠٤٩هـ (١٦٤٠م) وعمره ٣١ عاما بعد أن حكم نحو ١٧ سنة وتولى بعده أخوه ابراهيم (انظر في ترجمته سمط النجوم ٤ /١٠٧، ٤٥٨، محمد فريد بك المرجع السابق ص ١٢٤ : ١٢٨)– وغيرهم.

(٣٣) وردت هكذا في النص، والمعروف أن والي مصر من قبل الدولة العثمانية في هذه الفترة هو «بقيرجي أحمد» ولي في رمضان سنة ١٠٤٢هـ، وعزل في ٥ جمادى الأولى سنة ١٠٤٥هـ (انظر زامبور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٢٥٢)

(٣٤) البندقي دينار ضرب بلاد الفرنجة والروم، معلوم الوزن، كل دينار يساوي ١٠ ونصف قيراط من المصري. واعتباره بصنج الفضة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتي خروب يرجح قليلا.. وتلك الدنانير مشخصة، فعلى أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في عهده وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام الى رومية. لذلك تعرف بالمشخصة وبالافرنتية جمع إفرنتي والأصل إفرنسي نسبة الى مدينة افرنسة، ويطلق على المضروب منها في البندقية باسم دوكات.

والمعروف أن مجلس شيوخ البندقية قرر في ١ /١٠ /١٢٨٤م ضرب عملة ذهبية خاصة في أوربا سميت «دوكات» وعرفت في المشرق باسم «بندقي» أو «إفرنتي»، ووصفها مؤرخو مصر زمن المماليك باسم « المشخصة» لصور القديسين ودوق البندقية المنقوشة على وجهيها. وضربت فرنسا «الفلورين» الذي عرف في الشرق باسم «إفلوري» لكن لم يكن لها رواج في البندق.

ويرى د. عبد الرحمن فهمي إن من أهم عوامل انتشار دوكات البنادقة على وجه التحديد بمصر والشام والحجاز واليمن هو دقة سك هذا النوع من النقود الذهبية من حيث استدارة القطعة تماما وثبات وزنها ٣٫٤٥١ جرام) وعيارها البندقي المرتفع، في حين تقابله دنانير مملوكية ليس لها عيار أو وزن أو سمك أو قطر ثابت محدد (انظر القلقشندي: صبح الأعشى ٣ /٤٣٧، عبد الرحمن فهمي: النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٩٥ ومابعدها).

(٣٥) انظر ملحقات رشدي ملحس على تاريخ الأزرقي جـ١ ص ٣٧٢، ومرآة الحرمين ٢٧٧/١.
(٣٦) السلطان أحمد خان الثالث ابن السلطان الغازي محمد الرابع. ولد في رمضان سنة ١٠٨٣ هـ (ديسمبر سنة ١٦٧٣ م)، أول من أدخل الطباعة في بلاده. من أعماله بالمسجد الحرام ميزاب من الخشب ذرعه نحو ٣٫٥ ذراع، البارز منه مصفح بالفضة المغلاة بالذهب واللازورد. نقش عليه اسم السلطان أحمد خان عام ١٠٢٠. وكان الجدار الشامي قد تصدع سنة ١٠١٩ هـ على اثر سيل مكة، ودخلت المياه داخل الكعبة من سطحها وأراد السلطان أحمد هدم البيت وجعل حجارته ملبسة بالذهب والفضة على التوالي. فمنعه العلماء، فعمل طوقا من نحاس أصفر مطلبا بالذهب تكلف نحو ٨٠ ألف دينار وركب في أوائل سنة ١٠٢٠ هـ. كما عمل حزام الكعبة المشرفة أسعل الصفيحة الذهب التي تعلو الباب والتي نقش عليها باللازورد من قوله تعالى: «إن أول بيت وضع للناس حتى قوله من استطاع اليه سبيلا». ونقش على الحزام اسم السلطان أحمد وتاريخ عمله سنة ١٠٢٠ وهي :

اللوح ذالما استرم فجددا ... قد بدل السلطان أحمد عسجدا
فيدا له من حديده فوجدا ... الله أنعم بالمجد وأيدا
أهمت من تاريخه لما بدا ... اللوح ذا السلطان أحمد جددا

ولقد تآمرت الانكشارية على السلطان أحمد وأسقطته دون معارضة منه بعد أن ظل بالسلطة نحو ٢٨ سنة، وبقي معزولا الى أن توفي سنة ١١٤٩ هـ.
(انظر في ترجمته محمد فريد بك: المرجع السابق ص ١٤٢ وما بعدها وغيره).

(٣٧) المصدر : الباب الجديد للكعبة المشرفة (بتصرف)، كتيب نشرته وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية في هذه المناسبة (١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م)، ومجلة «إقرأ» العدد ٢٤٣ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ، وغيرها.

(٣٨) سورة الحجر الآية (٤٦).
(٣٩) سورة المائدة الآية (٩٧).
(٤٠) سورة الاسراء الآية (٨٠).
(٤١) سورة الأنعام الآية (٥٤).
(٤٢) سورة غافر الآية (٤٠).
(٤٣) سورة الزمر الآية (٥٣).